

الترجمة، ودورها، الحضاري بين الأمم والشعوب

بوفريوة الحاجة

جامعة الجيلالي اليابس

سيدي بلعباس / الجزائر

لقد أصبح من المؤكد في عالمنا المعاصر بأنه لا يمكن لأي شعب أو لأية أمة أن تعيش بمعزل عن العالم، تلك حقيقة باتت مؤكدة علميا وفلسفيا وفكريا، ذلك لأن (الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، ولأن التواصل والاتصال بين بني البشر، يمثل ركنا أساسيا في عملية الحياة بأكملها، ويقع في صميم مختلف العلاقات الاجتماعية، والاقتصادية والفكرية، ولذلك أصبح من المحتم على البشرية جمعاء، أن تقيم علاقات فيما بينها، وأن تتواصل بشتى الوسائل.

ثم إن طبيعة شبكات الاتصال، التي قد تنشأ بين البشر، وما قد تتخذه من أشكال تبليغ وطرق تحادث، وما تتوصل به من فعاليات، فيما بينها هي التي ستحدد بدرجة كبيرة فرص التقارب فيما بين أفراد المجتمع، من جهة، وفرص اندماجهم فيه من جهة ثانية، لكن الأکید أنها قد تقرر إمكانية الحد من ذلك التوتر المريب، الذي هو مرض العصر كما يقال، أو ما نسميه الآن بجل لمشكل النزاعات والخصومات، التي تحدث بينهم لأسباب عديدة.

ونتيجة هذا التطور الكبير في الوعي، خصوصا بحقيقة ضرورة هذا التكافل الحضاري، بين الأمم والشعوب، لأن الترجمة وفعل الاتصال لا يضمنان استمرار الحياة في وجودها فحسب، بل يدفعان إلى النشاط الاجتماعي والفكري والاقتصادي، وإلى التعبير عن الحضارة، لأن أفراد البشرية يتعايشون مع بعضهم البعض، ومن ثم فإنه ضرورة اللجوء إلى الترجمة ستخلق بينهم تلك الألفة التي تجعلهم يعبرون عن عواطفهم وحاجياتهم، كونها تساهم في التعبير عن الحاجات الإنسانية النبيلة، بداية من أبسط المهام التي قد تجمع بين فردين، إلى أسمى مهام مظاهر الإبداع، أو لنقل أشد مظاهر التدبير الذي يكفل للإنسان بقاءه على وجه البسيطة.

ثم إن الاتصال بهذا المفهوم الذي نركز عليه هنا، قد يحقق تكامل المعرفة الإنسانية، ويعطيها دعما متميزا، خصوصا في جوانب التنظيم والمعرفة والتكامل والتكافل والقوة، بين أفراد الأمة الواحدة بل وحتى بين أفراد الأمم جميعها¹ لكن عندما تطورت الحضارة البشرية، وتقدم العالم هذا التقدم الكبير مع بدايات الألفية الثالثة، فقد أصبح الاتصال أكثر تعقيدا مما كان عليه منذ سنوات قليلة، وقد ازدادت أهميته تبعا لذلك، ربما نتيجة التطورات الهائلة في مجال السمع البصري، وهو الأمر الذي أدى إلى أن تطبع التكنولوجيا فلسفة الاتصال في حد ذاته، بمميزات حدائية وبخصوصيات لها علاقة بعصرنا، على غاية كبرى في التطور والتقدم التكنولوجي الذي يشهده العالم جانبا مهما من نتائجه اليومية.²

إن الملاحظة الأساسية في هذا المجال هي أن المنافع المحتملة للتطور التكنولوجي الذي يشهده العالم، سوف لن يستفيد منه جميع البشر شأنه في ذلك شأن الكثير من الاكتشافات والاختراعات التي بقيت حكرا على بعض الأمم دون

غيرها، وذلك نتيجة التعقيدات المنهجية المتصلة بالمسائل المالية، ومن جهة ثانية نتيجة طغيان بعض المؤسسات المالية والاقتصادية، على غيرها من الأمم والشعوب.

لقد سعى الجنس البشري عبر التاريخ إلى تحسين القدرة على تلقي واستيعاب المعلومات عن البيئات المحيطة به، بالدرجة الأولى، تبعاً لتلك الفكرة الفلسفية التي كانت تؤكد على أن الفرد ابن بيئته، وأن الحاجة أم الاختراع، كما سعى في الوقت نفسه إلى زيادة سرعة ووضوح وتنوع أساليب أفرادها في بث تلك المعلومات التي حاول أن يتعامل معها. وبالرغم من مناصرة بعض الأفكار التي تبدو متطرفة في الحداثة لشيوع فكرة الدولة العالمية، بخصوص عموم العولمة، إلا أن ذلك لا يؤثر في هذه الحقيقة الخالدة، التي هي انقسام البشرية سياسياً إلى أكثر من مائتي دولة قطرية، ذات سيادة بالمعنى القانوني الكامل لمفهوم السيادة، ولذلك نجد كل قطر من هذه الأقطار يحاول أن يمارس سيادته الكاملة على إقليمه المعين بقوة المعاهدات والقوانين، وبفعل الترجمة ووسائل التواصل بين بني البشر.

كما نجد بأن بعض الفلاسفة والأنثروبولوجيين المحترفين يؤكدون على أن البشرية قد بدأت التواصل، مستعملة في ذلك، أبسط الإشارات الصوتية، خصوصاً في رعيها الأول، ومستخدمة الحركات المرتبطة بالبنية الجسدية، فلذلك نلاحظ بأنهم قد شرعوا في تطوير مجموعة كاملة من الوسائل غير اللفظية لنقل الرسائل التي كانوا يتعاملون بها في مجتمعاتهم، فهناك عمق واتساع في عمليتي الاتصال والترجمة، والأخطر من ذلك تلك الدقة المتناهية في تفاصيل المسائل المعقدة، والواقع هو أنه لا توجد حدود لتنوع وبراعة طرق الاتصال الذي كان يستعمله الإنسان الأول، فقد تطورت أشكاله وطرقه، بل ومحتوياته ووسائله المستخدمة،

ولذلك نجد في زمننا الحالي، ملايين البشر يتحدثون لغة لا يفهمها حتى جيرانهم، فرغم أن صلات التجارة والاقتصاد كانت في الأزمنة الأولى وثيقة الصلة فيما بينهم، من حيث التفاضل والامتلاك الفردي لبعض الوسائل، وبالرغم كذلك من أن السكان قد امتزجوا فيما بينهم نتيجة التصاهر مثلاً، أو نتيجة أسباب شبيهة بذلك، إلا أن مسألتي الشراء والتنوع في اللغة يمكن أن يجعلا من الاتصال أمراً صعباً تماماً مثلما (يمكن أن يؤدي من حيث تطويرهما وإتقانها إلى دوام امتياز فئات أو مجتمعات على غيرها على ما في ذلك من تناقض ظاهر في ذلك، ونظراً لأن الكلمات أصبحت رموزاً للتجربة الإنسانية، فإن المدركات المستمدة منها قد تعرضت للتغيير عبر الزمن، واستجابت للمواقف الجديدة..)³

وهذا التواصل غير المنظم، كان سائداً بين القبائل والشعوب المتجاورة ذات اللغات المختلفة بحكم الضرورة والمصلحة السائدة حينذاك، ويبدو الآن منطقياً أن يكون هذا النوع اللغوي في بدء التاريخ أكثر تعدداً منه في عصرنا، وذلك من جراء التقارب والتفاعل أو التوحيد اللغوي الناتج عن سيطرة بعض الشعوب أو الأقوام على غيرها.⁴ إذ أن قانون الغاب: [القوي يغلب الضعيف ويستعمله.] هو قانون كان سائداً فعلاً عبر جميع مراحل تطور الإنسان، بحيث تقوم الجماعات أو الأمم الكبيرة بحكم مصالحها بخلق أو إبداع صناعات أو وظائف ظرفية يؤديها بعض المبدعين أو الوسطاء الذين هم صلة التفاهم بين الوفود التجارية أو وفود الجيوش المتحاربة أو البعثات الدبلوماسية أو عمليات التجسس والاستعلام التي يقوم بها كل عنصر أو محارب للتعرف على أحوال قبيلته أو عدوه، وهذه الظاهرة غنية عن

التفسير والتحليل، لأن اختلاف اللهجات بين عناصر الأمة نفسها يجعل التفاهم والتواصل بينها بحاجة إلى وسطاء يعرفون أكثر من لهجة أو تفسير فيؤدون دور المترجم أو المفسر في اللغة نفسها.

وهنا تدخل الترجمة باعتبارها وسيلة مهمة لفعل (التقارب) ⁵ ولعل ما نجدُه من كثرة المترادفات في بعض اللغات، ومنها العربية على سبيل المثال، مصدر تعدد لغات ولهجات القبائل في إطار اللغة الواحدة. وهذا التعدد كما نراه قد أخفاه التوحيد المدرج منذ القديم الناتج عن الاندماج الذي جاء بعده التوحيد العقائدي عند الفتح الإسلامي، بالنسبة إلى اللغة العربية، مع العلم بأن لهجات القبائل العربية لا تكاد تحصى حتى أن القرآن الكريم نفسه يحتوي على قراءات لها علاقة بهذه اللهجات، رغم غلبة لهجة قريش فيه على جميع اللهجات.

لم تكن الجماعات البشرية منذ القدم، لتعيش منعزلة عن بعضها البعض بل أن كل جماعة كانت تلمس التقرب من غيرها، ربما لتيسر لها سبيل المعيشة الطبيعية ذلك لأن تلك العلاقات على بدائياتها، إلا أنها كانت تقيمها لأن حاجتها تتطلب ذلك، وتبعاً لتلك العلاقات فيما بينها أقيمت علاقات ولو بذلك المعنى المتقدم، وقد كانت هذه الشعوب والأمم تمتلك رغبة كبيرة في أن تسوي خلافاتها مع غيرها بطرق سلمية، عبر الترجمة والتواصل وأن توجد بعض الحلول الملائمة لكل ما تريد أن تسويه سلماً، ذلك لأن التفاوض والتشاور بينها، تماماً كما يقتضي عقد اتفاقات في شأن ما يتطلب ذلك من مسائل في مهام التواصل ⁶ من هنا كانت البداية الفعلية، فقد عرف الإنسان المتحضّر فضائل الترجمة باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من حركة التواصل، بين الأمم المتحضرة، منذ زمان بعيد، ولكونها بمثابة جسر تعبر عليه ثقافة الأمم بعضها إلى بعض فتزيد المعرفة وتعمق متعة الحياة في هذا العالم.

فهو بهذا المعنى تعتبر عكاز التقدم والنهضة، في كل بلد تحلف عن ركب الحضارة لسبب أو لآخر، إنها كذلك الرمز والطابع لحضارة العصر الذي تمثله كل أمة ناهضة. فقد ازداد هذا التواصل بشكل وفير وخاصة في العصر الحاضر بعد أن تبوأَت الترجمات الحديثة مكانة معتبرة في المجتمعات، من علمية وسياسية وصناعية وأدبية ⁷. إنها الآن قوية مع صدور الجرائد والمجلات والقصص المترجمة في كل مكان تصله المواصلات، فالترجمة بهذا المعنى الجديد هي مجرد عملية شرح وتفسير لما يقوله ويكتبه الآخر الذي يعاصرنا ولا يعيش بجانبنا، هذا الآخر الذي قد يبدع أشياء كثيرة تفيد الإنسانية فمهما كان هذا الآخر، إلا أنه يشاركنا الحياة، وقد يتجاوزنا في التكنولوجيا. والاكتشافات المستحدثة في مجالات الطب والهندسة، لكن الشرط الأساسي في ذلك أن يكون من لغة أخرى، ويتم هذا الشرح والنقل إلى لغة المتلقي أو المستمع، فهي بالنسبة للمترجم تفسير فكرة مصاغة من قبل غيره ضمن لغة أخرى، وليس عليه أن يبحث عن هذه الفكرة في أي مكان بل كل ما يترتب عليه أن ينقلها بلغة مغايرة لتلي أبدعت بها، إن ظاهرة (الترجمة) ⁸ كانت ولا زالت ملازمة لتاريخ الإنسان، ولتطوره، بل مجرد إضافة أراد أن يساهم بها في مجال الحياة، لأن تعدد الشعوب والأمم والأقوام واختلاف اللغات التي برزت نتيجة للمناخات والبيئات المتنوعة وللأغذية والتناسل والحياة المتنوعة، كل ذلك أسهم في الحضارة الإنسانية بشكل أو بآخر، وجعل ظاهرة الترجمة هي الأداة الوحيدة لسد حاجة التواصل بين البشر، فسواء أكانوا فرادى أو جماعات، وفي كل أنواع التبادلات، وقد ينشأ في ظروف وأصقاع مختلفة كذلك، وبسبب ذلك الاختلاف الحاصل بين الأجناس اللغوية، كما هو حصيلة تاريخية طويلة المدى ومرجعها الأساسي هو تكوّن هذه اللغات في عزلة عن لغات

الجوار والبلاد المتاخمة التي قد تؤثر وتتأثر تبعاً لدرجة الاتصال والتواصل.⁹ أما الاختلاف المتتالي أو الاختلاف المتنوع، الذي مرده بعد المسافات وبطء الانتقال وقلة القبائل أو الجماعات في بداية التاريخ هي السبب في هذا التعدد، غير أن العامل الأساسي في هذا التعدد هو الأصل والجنس والعامل السياسي، لأنها الأكثر تمثيلاً لسيطرة لغة الغالب، إن الاختلاف المتتالي هو أفضل تعريف يمكن أن ينطبق عليه، كونه تباعداً أي بين شعبين من أمة واحدة تباعداً مناخياً أو زمنياً أدى إلى تحول اختلاف اللهجة ثم إلى انفصال لغوي كامل، بحيث يزول التفاهم لعدم انطباق كامل مفردات اللغة، خاصة إذا صاحب الانفصال ظاهرة جديدة ومرافقة تخللها امتزاج اللهجة بلغة مجاورة لها لهجة مختلفة مما يؤدي إلى موت اللغة الأم بعد انفصال هذا الشعب عن شعوب أمته مدة زمنية طويلة الأمد.¹⁰

ولعل أحسن مثال على ذلك هو موت اللغة اللاتينية، وقد حدث ذلك في أواخر القرون الوسطى ربما بفعل توالد اللغات اللاتينية المتفرعة عنها مثل: (الفرنسية – الإسبانية، البرتغالية الإيطالية والألمانية وقد حدث ذلك بعد تقهقر الإمبراطورية الرومانية، وتزايد الهجمات عليها، نظراً لمرور أجيال عديدة في تاريخ شعوب هذا الكون، يصعب علينا معرفة تكون اللغات الخالصة البريئة من كل تعدد في الأصل)¹¹ لأن اللغات الصافية لا يمكن اعتبارها الآن إلا مجرد فرضية نظرية يمكن وضعها لفهم وتحليل كنه اللغات المزيجية أو بالمقابل لدراسة وتعليل إرجاع اللغات المتوفرة لدينا إلى أصل ما من مجمل اللغات. ولعلها لغات مزيجية من لغات حية ومعمول بها حتى الآن أو قديمة نجهل عناصرها الأصلية. فإذا ما استعرضنا تكون اللغات يمكن التجزؤ بالزعم بأن اللغات الصافية لا وجود لها، بل هي لغات كانت تامة لشعوب أو أجناس محددة ثم أصبحت أجزاء لغوية لشعوب متجاورة لأزمنة محددة، ثم صارت لغة واحدة على المستوى الفونولوجي والمعجمي كمادة، وعلى المستوى التأليفي والإعرابي كصورة، وذلك بفعل سيطرة إمبراطورية أو دولة قوية على مجتمعات أو شعوب أخرى.

الفرضية الثانية هذه تبدو أقرب إلى الحقيقة التاريخية البعيدة والقريبة ويمكن أن نقدم مثلاً على ذلك، ما حدث عند الفتح الإسلامي وما كان حادثاً في الشرق العربي القديم، وما هو حادث الآن بين لهجات شعوب الأمة العربية مما يفيد بأن الأصل كان متعدد اللهجات، (وأن ظاهرة الوحدة اللغوية هي التالية أي اللاحقة، بحيث إن اللغة الواحدة مع مرور الزمن، منها سيطرة الاقتصاد واللغة – الثقافة – أو التفاعلات المتنوعة الأخرى، قد انصب عليها لهجات متعددة أو لغة وسيطة تحولت جميعها إلى ما يشبه التنوعات في اللغة الأم، وهذا ما يجعل ظاهرة الترجمة داخل كل لغة أساسية في دورها التكويني على المستوى اللغوي، وهي في الوقت نفسه تحاكي الظاهرة الكونية التي تستدعي الترجمة بين اللغات المختلفة في دورها على المستوى الفكري، وبنتيجة ذلك يمكن القول إن ظاهرة الترجمة مترافقة دوماً مع التواصل اللغوي إما ضمن لهجات نفس اللغة أو بين لهجات لغات متباعدة.

وهاتان الظاهرتان على المستوى اللغوي والفكري أصبحتا قابلتين للتوحيد ولو فرضياً، ومنه نتوصل إلى نتيجة مماثلة بأن نعتبر أصل جميع اللغات هي لهجات الشعوب المتقاربة التي خضعت لإمبراطورية واحدة وحدتها سياسياً قبل اكتمال لغاتها الخاصة، فأصبحت المنبع الذي تولدت منه اللغات التي نعتبرها الآن صافية.

لعل أهم ظاهرة ملفتة للنظر في النصف الثاني من القرن العشرين، هي حصول أكثر من ثمانين أمة على استقلالها، الأمر الذي أدى إلى استقلال أكثر من مليارين من البشر من رقبة المستعمر الغاصب وعلى الرغم من ذلك فإن ظروف العالم الحاضر السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بل وحتى الفكرية والتكنولوجية والعسكرية، تميل إلى تعزيز مراكز بلاد معينة وتأكيد هيمنتها باستمرار على عدد كبير من البلاد الأخرى التي تسير في فلكها، وذلك ما يسميه الدارسون بالتبعية الفكرية والحضارية، وقد نلاحظ ذلك في مواقف بلاد الغرب نحو سياسات الشرق على تنوعها، إذ نجد الولايات المتحدة، وخلفها مجموع البلاد التي تسير في فلكها المجلترا، وبقية الدول، ولقد قيل بأنه لا يمكن لأية أمة أن تدعي الاستقلال، إذا كانت وسائلها الإعلامية تحت سيطرة أجنبية، ولسوء الحظ، فإن الإعلام في عالم اليوم، أصبح في أغلب الحالات بمثابة تبادل بين شركاء غير متساويين.

أما بخصوص الترجمة إلى اللغة العربية من أجل إثرائها، فقد ذكرت (موسوعة الدكتور يوسف فرحات عددا كبيرا من علماء الترجمة الذين نقلوا إلى العربية عن اللغات الأخرى علوم الأمم الأخرى ومصطلحاتها، وكان لهم الإسهام المفيد والأيادي البيضاء في إثراء حضارة العرب والمسلمين).¹² يؤدي إلى أن يتغلب الأقوى، والأغنى والأفضل عدة على الأضعف، ذلك لأن التفاوت في السلطة والثراء نظرا لما له من وزن خاص، يؤدي بالضرورة إلى اختلالات فضيعة على البنى الإعلامية، والتدفق الإعلامي، وهنا يكمن الاختلال والتفاوت في الفرص، الأمر الذي يؤدي إلى ما يحدث في العالم من تفاوت في الفرص الذي هو من خصائص الاتصالات الدولية لاسيما بين الدول الصناعية والبلاد النامية، بحيث أصبحت الأمم في كافة أنحاء العالم، تعتمد على بعضها البعض، بصورة لم يسبق لها مثيل في التاريخ، وذلك بفضل التقدم التكنولوجي وبفضل مجموعة الشبكات العالمية الإلكترونية المترابطة التي يمكنها أن تؤدي وظيفة تعليمية تثقيفية لأنها شبيهة.

كما وأن هناك عوائق تحول دون التدفق الحر للمعلومات من السهل التعرف عليها ومن بينها العنف البدني والتهديد وقوانين القمع والرقابة وإدراج الصحفيين في القائمة السوداء وحظر الكتب والاحتكارات التي تقوم بواسطة إجراء سياسي والعوائق البيروقراطية، يعقد جورج مونان فصلا كاملا، هو الفصل الحادي عشر، لمسألة الترجمة واللغة والاتصال بين الأفراد، ويحاول أن يثبت علميا في هذا الفصل بأن مشاكل الألسنية الحديثة أكبر بكثير من ما كان يعتقد ومما يتعلق بطبيعة الأمور اللغوية، بل أنها في نظر جورج مونان: (أضفت صعوبات جديدة في تأكيدها بأن الناس تتصل بواسطة اللغات، وأن رؤى العالم واختلاف الحضارات، ساعدت الترجمة بقدر ما شلتها).¹³

إن الترجمة تقوم بدور أساسي في عملية التقارب بين الأمم والشعوب، وفي رقي حضارة الأمة، ودورها مركزي في هذا التقارب الحاصل بين الأمم والشعوب، فعن طريقهما يتم التقارب الفعلي، وتتم عبرها علاقات دبلوماسية أكيدة، وعن طريقها تعالج كافة المسائل العالقة بين الدول، إضافة إلى قضية التوفيق بين المصالح المتعارضة، ووجهات النظر المتباينة، وتيسر جميع الخلافات القائمة حول العلاقات التي تشكل حجر الزاوية بين الأمم والشعوب. وعليه فإن الاتصال والتواصل الحضاري ضرورة ملحة بين الأمم والشعوب، إذ لا تستطيع أمة مهما كانت مقدرتها الاقتصادية أن تعيش منعزلة عن العالم، لأن هناك أكثر من ضرورة لفعل التواصل الإنساني)¹⁴ ولذلك فإن الحل يكمن في الترجمة لأننا نعتبرها من

الأعمال الإبداعية الشيقة التي يجد فيها الفرد، تلك المتعة الروحية التي تساهم في صقل ذوقه وخياله، باعتبارها أحد بواعث الموهبة الأدبية والفكرية، وهي من أهم الأسباب التي تمنحنا راحة نفسية وتجعل المثقف يجد شعوراً متميزاً، على أنه أدى وظيفة نبيلة في الحياة.¹⁵

مع تطور العصر وانتشار التعليم، واتساع الثقافات، ترجمت أعمال كثيرة، لا حصر لها ونتيجة اهتمام القراء بهذه القصص وتلك الروايات، أوجب تغيير إنتاج المترجمين لتصبح الآداب متناولة بشكل عام، سواء تعلق الأمر بالقصة أو الشعر أو الفلسفة، وحتى بعض الأنواع الفكرية المعاصرة.

إن طرق تطعيم الحضارات بعضها البعض كثيرة ومختلفة، وأن اختلافها بحسب الزمن والعصر فقد يكون الاتصال بين الحضارات عن طريق، الرحلات أو الهجرة أو الحروب أحياناً، التجارة أو الزواج أيضاً، وغير ذلك من الطرق الحديثة في عصرنا الحاضر، ولكن نقل العلوم من حضارة إلى أخرى وترجمتها من لغة إلى لغة كانت ولا تزال هي الوسيلة المشتركة والناجحة، كما وأن الحضارة العربية كانت قبل ظهور الإسلام، بحيث كانت حضارة اليمن القديمة التي يمكن وصفها، والتي كانت تجاورها كالحضارة المصرية أو الفارسية، ولكن ما انتشر الإسلام في سرعته المعهودة، حتى انشد إليه العالم أجمع، وفي سنوات قليلة ورثت أملاك الدولتين المجاورتين المذكورتين، وسرعان ما تزوج الشعب العربي مع شعب تلك المناطق الجديدة جنساً ولغة وحضارة. ثم إننا لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نتناسى الأعمال الجليلة التي قدمها المستشرقون من بعض العلماء الأجلاء.

لقد كانت لهم فضائل جليلة علينا، فهم الذين شرعوا في هذه الترجمات المختلفة، بحيث نجدهم يساهمون في إثراء الآداب، ويتخرج على أيديهم مترجمون من العرب، إن عامل ثقافة الترجمة، قد جاء متأخراً لجميع الأمم والشعوب على السواء، ذلك لأنه ولید ظروف تفترض مستوى متقدماً من النهضة المحلية والفكر الفلسفي والعلوم العديدة التي تؤدي إلى تقدم التفكير الإنساني، ثم تلك التي تمكن من التواصل العلمي عبر البلاد الأخرى.

الأکید أن الأوروبيين قد أقبل على الأندلس يترجمون العلوم والفلسفة وعلم الفلك وعلم الجدل، والاجتماع، على حد تعبير العاملة الألمانية زغريد هونكه، فنقلوا إلى اللاتينية أهم المصنفات العربية في هذه الفنون، وقد استمر تطور حركة الترجمة في التقدم خلال القرون اللاحقة، واستمرت هذه الحركة بين فتور ونشاط إلى زماننا الذي أصبح كل شيء فيه يتوقف على نجاح الترجمة، باعتبارها عملية نبيلة لنقل الفكر والعلم على السواء.¹⁶

فنزراً لما تؤديه الترجمة من دور فعال في رقي الأمم والشعوب، بل في خلق حوار بين الآداب المختلفة، وفي تضييق الفجوة بين مختلف الحضارات والثقافات، وفي جعل الظروف مناسبة لتوسع انتشار الأدب العلمي، لهذه الأسباب وغيرها، فإن الترجمة قد أصبح لها دور أساسي، هو بمثابة القنطرة التي تجعل المجتمعات الشرقية والغربية مرتبطة دون أي جواز سفر، وهذا الموضوع قد يجزنا إلى التساؤل عن العلاقة بين المؤلف والمترجم من جهة، ومن جهة ثانية، نتساءل عن الترجمة باعتبارها عملية إبداعية.¹⁷

فقد كانوا بحاجة إلى هذه الترجمات لنشر الدين المسيحي كل حسب مفهومه لإيصال تعاليمهم وأصواتهم إلى الناس، وهناك أمثلة كثيرة أخرى تبين لنا مدى تأثير الحاجة في قيام الترجمة وتنوعها وأسباب نموها. وقف الإنسان المتحضّر

على فضائل الترجمة منذ فترة، لأنها كانت هي الجسر الذي عبرت عليه ثقافات الأمم بعضها إلى بعض بحيث تزايدت المعرفة، وتم تعميق متعة الحياة في هذا العالم، فهي في كل الحالات وسيلة راقية للتقدم في كل البلاد، خصوصاً البلد الذي يستشعر بأنه تخلف عن ركب الحضارة لسبب أو لآخر. إنها الرمز والطابع لحضارة العصر الذي تمثله كل أمة ناهضة.

لكن الترجمة لها شروطها الموضوعية العالمية بين الأمم والشعوب، فكل من استوفى شروط هذه العملية يمكنه أن يضيف إلى حضارتنا شيئاً جديداً، ويمكننا أن نحصر شروط الترجمة الناجحة في المسائل التالية: الإحاطة بالعلوم الحياتية بدرجة حسنة، والمقدرة على البحث، لكن يجب عله أن يتوفر على مجموعة من الخصائص التي تؤهله لأن يقوم بترجمة الأعمال التي يقدم على ترجمتها. ثم القوة على استيعاب الحقائق العلمية المعاصرة، والقدرة على تدقيقها وتحليلها بكفاءة متناهية.

نجد في حياتنا العامة من يساهم في إثراء المكتبة العربية ويساعد على نشر مختلف فنون المعرفة الحديثة بين جمهور القراء، من العرب خصوصاً، ورغبة في نقل الإنتاج الحديث إلى المجال العالمي، إذ لا بد من مواكبة الإنتاج العلمي والفكري المترجم من اللغات الأجنبية الحية، فقد كانت الترجمة بهذا المعنى وما تزال دعامة من دعائم النهضات الفكرية للشعوب، وبواسطة الترجمة بدأت النهضة العلمية والثقافية في عصور الإسلام الأولى، حيث أدرك الغيورون على العربية حاجة الأمة إلى الغذاء الفكري من أية جهة ومن كل سبيل، مما أفسح المجال لتدفق المترجمين من مختلف الثقافات العالمية إلى العربية، وهكذا أيضاً عندما نهضت أوروبا من سباتها، رأت أن أجدى وسيلة لنهضتها أن تعتمد على الترجمة، نلاحظ بأنهم شرعوا في ترجمة المعارف بحسب حاجتهم من أمهات الكتب اللاتينية واليونانية وأيضاً أصول الكتب العربية التي ساهمت بمقدار كبير على ازدهار الثقافة الأوروبية الحديثة.

الإحالات:

- 1 - بخصوص أهمية التكافل بين الأمم، نلاحظه في وقوع الكوارث الطبيعية مثلاً، فكلما حلت كارثة بأمة من الأمم إلا وسارعت مختلف الدول لمدها بالمساعدات الضرورية والمهمة، حتى ولو كانت هذه الدولة مارقة عن سياسة الهيمنة الاستعمارية فمثلاً، عندما حلت كارثة طبيعية تمثلت في زلزال ضرب إيران في العام 2005 فإن مختلف الدول قد هبت لنجدها بما فيها بعض الأعداء كالولايات المتحدة الأمريكية وهكذا.
- 2- د. غضبان مبروك. التنظيم الدولي، والمنظمات الدولية. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر ط5/ 1994. ص 19 إضافة إلى أن المنظمات والجماعات الطوعية، هي عبارة عن جماعات ومنظمات وهيئات غير حكومية، هدفها الدفاع عن حقوق الإنسان، ولأنها تحمل فيما بينها آراء وأفكار مشتركة، تحظى بالأهمية في إشراك الأفراد في الشؤون الاجتماعية، ومن الواضح أن لهذه الهيئات قدرة هائلة على التأثير في القرارات
- 3 - لأن اختلاف اللهجات بين عناصر الأمة نفسها يجعل التفاهم والتواصل بينها بحاجة إلى وسطاء يعرفون أكثر من لهجة أو تفسير بحيث يؤديون دور المترجم أو المفسر في اللغة نفسها. ينظر: نفسه. ص 193 وما بعدها

4 - نظرية القرابة العامة تشكل الرابط الأصيل بين مختلف الأزمنة والأماكن والحضارات فهي تلخص العناصر المشتركة بين تراكمات الخلاصات الحضارية المنجزة عبر مختلف العصور التي مرت بها مختلف المجتمعات واللغات. الأمر الذي جعله كلود ليفي ستروس يرى بأن هناك نظاماً يضبط هذا الشكل الإنساني الاجتماعي ويسعى بالتالي إلى استكشاف قوانين الأبنية التي تضبطه وتحكمه. ولاستيعاب هذا النظام فقد استخدم المناهج اللسانية. ينظر: حسن قبيسي، المرجع نفسه، ص 47

5- القاعدة الأساسية في الترجمة هي عدم وجود قواعد مطلقة أو طرق واضحة وذات قيمة أو مقننة بشكل ثابت، في جميع حالات الترجمة. فلا يوجد ما يدعى الترجمة المطلقة إن مباشرة ترجمة نص ما تعتمد على إحدى الطريقتين: الأولى تعطي الأولوية للنص الهدف *Texte d'arrivée*، من حيث لغته وعصره، أما الثانية فتعطي الأولوية للنص المصدر *Texte de départ*

6- ليست العملية الترجمة بالأمر السهل، الذي هو في متناول الجميع، بل هي عملية ومعقدة، وقد تكون أصعب من التأليف لأن المؤلف طليق في اختيار معانيه وألفاظه وتراكيبه، وليس المترجم كذلك لأنه حينما يشرع في عمله يكون أسير معاني غيره، فهو مقيد ومضطر إلى إيرادها كما هي طاقتها وحتى على علاقتها إذا لزم الأمانة في الترجمة. ينظر: شحادة الخوري: الترجمة قديماً وحديثاً، ص 157

7- إن الترجمة تحث على وضع المصطلح المناسب، بل تبحث عنه كمصطلح صحيح لحاجتها إليه، ولدى وجوده يكون لها تدبير معين وسنذر، وقد استدعت ترجمة علوم القدماء إلى العربية إيجاد مصطلحات علمية كثيرة وبأعداد وافرة، للدلالة على المعاني والأعيان والألفاظ، كالطب والفلسفة، والرياضيات، والفلك والكيمياء والطبيعات وغيرها 8- لقد استنتج كلود ليفي ستروس من دراساته أن نظام الثقافة يماثل نظام اللغة، وأن جميع مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية تعتبر كلغات، أي كأنساق من العلاقات للتواصل *Communication* وهذه الأنساق لها بنيات *Structures* عميقة وتماثل بنيوي وتجانس صميمي عند كل البشر فبالاستناد إلى دراسة هذه الأنساق، نستطيع أن نكشف عما يحدد العقل البشري في كل الأزمنة ومعرفة كل شيء عن الإنسان والمجتمع. ينظر: روزنتال ويودين، الموسوعة الفلسفية، مراجعة د. صادق جلال العظم، ص 471.

9- لا بد من الاعتراف بأن النهضة العربية في الميدان اللغوي والثقافي أصيبت ببعض الإخفاق، وذلك كان يعود إلى الأحوال الاجتماعية والسياسية، وإلى دور المستعمر، والظروف التي كانت تكتنف المجتمع العربي قاطبة، غير أنه مما لا شك فيه أوجد ضموراً في اللغة العربية فيما يتعلق بالتأليف والترجمة والتعليم. ينظر: مارتينييه *Diffusion of language* فيما يتعلق بالجدل حول تنازع الألسن..

10- لعل السبب المباشر في وجوب دراسة علم الترجمة كتماس في اللغات هو أنه في الترجمة من لغة إلى أخرى يكمن (توحيد المعنى كما يوجب التحقق من أن أحد تلك المناهج أو الطرق يصعب الغور بها أو نقلها من لغة إلى أخرى. وبدون جدل، فإن مدى ومقدار تأثير ونفوذ اللغة المترجم منها على اللغة المترجم إليها يكشف الكثير من التداخلات الخاصة التي قد تأتي أحياناً به من خطأ الترجمة. ينظر: مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية، ص 24-27.

11- ينظر جورج موناغ G. Mounin ((المسائل النظرية في الترجمة.)) ترجمة لطيف زيتوني دار المنتخب العربي بيروت لبنان. الطبعة الأولى. 1994. / ص 209 وينظر: ادمون كاري- كيف تترجم ص 39-41 المطبعة المركزية صنع عام 1986. ص 49

12 - الترجمة انتقلت الحضارة الإسلامية إلى أوروبا عبر ثلاثة طرق مهمة وهي: بواسطة الترجمة، أو اتصال الأوروبيين بالمسلمين في الأندلس، ومملكة الصقليتين، أو بواسطة التجارة، أو بواسطة الحروب الصليبية. ينظر في ذلك: زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب (مرجع سابق) ص 128.

13- ادمون كاري- كيف يجب أن تترجم م.س. ص 59

14- عبد السلام المسدي : المصطلح النقدي، م.س. / ص 94

15 - بلغ مجموع ما ترجم في لبنان في عصر النهضة (31) كتاباً، أما ما ترجم أيام محمد علي 1913 كتاباً. ينظر جمال الدين الشيال: ((تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي.)) وينظر: جرجي زيدان: (تاريخ آداب اللغة العربية.) ج 4 فصل خاص بالترجمات. وينظر: عبد السلام المسدي : المصطلح النقدي، م.س. / ص 91 وينظر: جمال الدين الشيال: ((تاريخ الترجمة والحركة الثقافية . ص 156

16 - اللغة هي مجرد كائن حي يتأثر بالعناصر المؤدية إلى تطور المجتمع، فأى تطور حاصل في المجتمع يؤدي حتماً إلى تطور اللغة، إما إيجاباً أو سلباً من هنا لا بد على المترجم أن يقوم أولاً بفهم النص الذي يريد ترجمته فيحلله إلى الموضوع الذي يدور فيه النص، ثم إلى المضمون الذي يتحدد فيه الموضوع ثم النتيجة التي يرمي إليها النص، لذا يتوجب على المترجم أن يقوم بعملية جرد لغوي لتحديد المستوى الفعلي والفاعلي للغة النص. ليصل في نهاية الأمر إلى تحقيق إعادة التركيب اللغوي من خلال التعبير بذاتيته كمترجم وفق مستويات الفعل والفاعل في اللغة الهدف. ينظر: مصطفى المويقن، المرجع نفسه، ص 121.

17- النحت: بمثابة انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر على أن يكون هناك تناسباً في اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت عنه، وهو قريب من مفهوم الاشتقاق أو ضرباً من ضروبه. استعمل بشكل محدود، فقيل: البسمة والحوقلة والحمدلة، أما حديثاً فقيل: برمائي لاسلكي، ويوغسلافي ووافرو آسيوي، فلا يُلجأ إليه إلا عند الضرورة مثل كلمة ((كهريطيسي.)) بدلاً من كهربائي مغناطيسي، وكهر حراري عوضاً عن كهربائي حراري. ينظر كذلك، جمال الدين الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية .

م.س. ص 155

Summary

Translation and its role among civilized nations and peoples

Perhaps the most important comprehensiveness of globalization properties, and what new technologies has added, to some innovations in the era of modernity, is the era of specialized micro-translations. Certainly, this has become a sincere expression of the thriving period filled with very complex and specialized Science. Indeed, one cannot in any way find people or a nation among nations free of means of communication ,urbanization and translation.

Certainly, no people or any nation can live in isolation in the reality of this new world. Man by nature is a social being, therefore, communication and contact is more than necessary between human beings, especially by the use of translations, which have become an essential element in the entire process of human civilization.

As a result of the fast technological development in promoting awareness, an urgent and necessary fact for the interdependence between different nations and peoples has risen. The communication may not only guarantee the continuation of life in their existence, but it also contributes to the social, intellectual and economic activity to the expression of contemporary human civilization, through a series of complex operations of the idea documenting communication among human beings through translation.

Because human civilization has evolved, and the world has experienced this great progress with the start of the third millennium, human connection became more complex. Its importance has increased accordingly with the dazzling development. This led the technology to use a new philosophy in communication with modern features specific to our modern time in relation with human development and urbanization.

However, the basic observation is that the potential benefits of this great technological development that the world is witnessing will not benefit all people as a result of complications in methodology related to different cultural issues, unless an upscale translation is in place.

Throughout history, human race has sought to improve the ability to absorb information related to translation. We find that the bulk of approaches are designed to provide more than they should know about the

phenomenon of communication in a general sense among members of the human race. In addition to the elucidation of the most important rules regulating diplomatic practice in various situations and conditions, we find that some philosophers and anthropologists assert that mankind has begun the idea of communication since the first times and various translation methods has been used. Therefore, we note that they have begun to develop a full range of non-verbal means to move messages they were dealing with in their first communities.